أهمية الرحلات التجارية الآشورية إلى بلاد الأناضول في توطيد الصلات الحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد

د. حسين ظاهر حمود*

ملخص البحث :

تعد الرحلات التجارية إحدى أهم وسائل إيصال مقومات الحضارة بين البلدان والممالك في العصور القديمة . وكانت للرحلات التجارية الأشورية أهميتها الواضحة في بداية الإلف الثاني ق.م في تعزيز الصلات الحضارية بين الأشوريين وبلاد الأناضول . إذ نتج عن تلك الرحلات نقل العديد من المقومات الحضارية من أشور إلى بلاد الأناضول في مجال: اللغة والكتابة والأدب وأساليب التعامل التجاري فضلا عن الأوزان والمقاييس والقوانين . كما كان لإقامة التجار الأشوريين في المراكز التجارية في بلاد الأناضول أثرة في إقامة علاقات اجتماعية والزواج في بعض الحالات بين الأشوريين والبنات الأناضوليات.

Abstract

" Importance the safaring Assyrian Trade for solldity contacts civilization with Anatolian country during the half first 2 millennium B.C "

The safaring merchandise are Importance methods arriving stanchions civilization between countries and kingdoms in Ancient periods .

Then Assyrian activity merchandise are very Imported and clear in beginning 2 millennium B.C . with Anatolian country . In addition to this contacts civilization more fixed resulted explain Assyrian shareholders commercial and transport distribution to Anatolia from Assur .

* أستاذ مساعد ، قسم حضارات الشرق الأدنى القديمة ، كلية الآثار

Then resulted this contacts to arrive much stanchions civilization language and writing , literature and Methods exchage merchandise , measurement , laws .

The Economic relations and social contacts in some cases leads to the question were Assyrian merchants sojourn styed for conducted their business and resulted in marriage between Assyrians and natolians girls .

المقدمة :

كان لإفتقار أرض الرافدين إلى بعض المواد الأولية أثره في نشأة التجارة وتطـور حركة الاتصالات الخارجية مع الأقاليم والبلدان المجاورة ، وكانت أقدم تلك الصلات مع بلاد الأناضول التي جلبت منها أنواع من المعادن والأحجار لسد متطلبات حاجة السكان إليهـا ، وقد بدأت تلك الصلات منذ عصور مبكرة ألى أن وصلت إلى ذروتها فـي بـدايات الألـف الثاني ق.م ، اذ عكست النصوص المسمارية المكتشفة قيام التجار الآشـوريين بـرحلات منتظمة لجلب تلك المواد ونشاطهم في عمليات النقل الذي أخذ الطابع الجماعي او ماعرف برحلات القوافل التجارية .

تعد الرحلات التجارية الآشورية على درجة من الأهمية وأبعدها عمقاً وتأثيراً فـي توطيد الصلات الحضارية مع مدن وأقاليم بلاد الأناضول . فقد عكـست تلـك الـرحلات التجارية عن نتائج حضارية متنوعة خلال الألف الثاني ق.م شملت الاقتـصاد والمعتقـدات والأفكار ذات العلاقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية فضلاً عن اللغة والكتابة [1] ...

فقد كان للآشوريين اتصالات تجارية متميزة مع السكان هنـاك واختلطـوا معهـم وأقاموا في مدنهم لفترات ليست بالقصيرة فكان لذلك آثارهم الواضحة في نقـل كثيـر مـن الأسس والعناصر الحضارية إلى الأقوام القاطنة في بلاد الأناضول آنذاك ، ومما يثبت ذلك نتائج التنقيب في مواقع الآثار الأناضولية ، إذ قدمت معلومات دقيقة عن طبيعـة الحقـائق الاقتصادية والاجتماعية وألقت ضوءاً عن مديات تأثير الحضارة الآشورية فيها .

ومما ساهم في توطيد تلك الصلات الحضارية تشجيع الملوك الآشـوريين وحكـام مدن وممالك بلاد الأناضول على نشاط تلك الرحلات التجاريـة وتـسهيل حركـة التبـادل والمداولات التجارية ، فضلاً عن تأمين طرق المواصلات الممتدة من نينوى وآشور تجـاه

المحطات التجارية عبر شمال سوريا والى مراكز المدن التجارية في بلاد الأناضـول [٢] ، فضلاً عن الإشراف على تنظيم قوافل التجار وسيرها ومحطاتها وتزويدها بالمؤن والحمايـة اللازمة ... وكان من شأن هذه الإجراءات دعم نشاط تلك الـرحلات والمـواد التجاريـة المتبادلة والتي أفرزت نتائجها المهمة في نمو وتعزيز اقتصاد كلا الجانبين لما كان يحققه من مردودات مالية كبيرة انعكست على رفاهية الأفراد العاملين من التجار ومن ثم على أوضاع البلاد عموماً [٣] . فقد كانت المملكة الآشورية آنذاك تعيش في زمن ازدهار وتمر بدورة قوة في عهد الملوك ايلوشوما وخليفته اريشوم وحفيده سرجون الأول الآشوري وقوة هؤلاء عمل على تقوية نشاط التجار الآشوريين وأعطاهم سنداً لمواصلة تلك الرحلات [٤] ، ومن جانـب آخر سعى أولئك الملوك جعل بلاد آشور مركزاً تجارياً وسوقاً رائجة لذا فتحوا الآفاق لعمل السماسرة وجذب التجار الأجانب من خلال تشجيع مبادلاتهم ونقل الصادرات من بابل إلـى آشور والى مراكز التجارة في بلاد الأناضول [٥] .

وفي الحقيقة إن أعمال النشاط التجاري الآشوري بدأت منذ عهد الملك الآشـوري ايلوشوما في بداية الألف الثاني ق.م ومن ثم تبع استمرار حركة هذا النشاط في زمن خلفاءه من الملوك [٦] ، واستنادا إلى النصوص المكتشفة فانه كان خلال منتصف القـرن التاسـع عشر ق.م ووفقا إلى تخمين قدر بأكثر من ألفين من السكان الآشوريين كانوا يساهمون فـي الأعمال التجارية ، وبوجه التقريب حوالي ثلث هذا العدد كانوا يعيشون ويسافرون بانتظـام إلى بلاد الأناضول ، وفي الواقع إن هذا الشمل الكثير للناس لابد وان احدث نقلـة نوعيـة مهمة في المجتمع الآشوري ، وكان له تأثره الكبير في التواصل الحضاري ونقل مقوماتـه إلى المراكز التجارية (كاروم karum) الآشورية في بلاد الأناضول [٧] .

وكما سبقت الإشارة فان تجمع تلك الرحلات التجارية واستمرارها كان يعود إلـى سلطة الدولة ورغبتها في دعم مقومات استمرار تلك التجارة وإيجاد المؤسـسات الإداريـة الكبيرة المشرفة على حركتها ومنها مؤسسة (معتمدي المدينة) وكذلك بيت المدينة (bit alim) التي أخذت على عاتقها مسؤولية حماية قوافل التجار في الطرق وجمـع الـضرائب والرسوم عن الصادرات والواردات وتخمين تكاليف الحسابات المركزيـة وتوجيـه أعمـال التجار ونشاطاتهم ، وإذا كان يتم ختم نهاية كل عقد تجاري (معاملـة) بخـتم المدينـة ، وبطبيعة الحال فان هذه المؤسسات الرسمية كانت تؤدي دورا مهما في تنظيم حركة التجارة

,والرحلات وتوسيعها ، ومن جانب آخر كان من شأن هذه الإجراءات جميعها أثرها المهـم في نمو علاقات جيدة ووثيقة بين الإدارة المركزية والتجار بشكل عام [٨] .

لقد أسفرت أعمال التجارة الآشورية في بلاد الأناضول إلى عقد معاهدات تجاريـة بين ممثلي (معتمدي) المملكة الآشورية وحكام المـدن الأناضـولية التـي كـان التجـار الآشوريين يقيمون فيها ويؤسسون لتجارتهم معها ، وبحسب النصوص كان هنـاك منـدوب أشوري في مدينة قانش (في كبدو كيا) يحمل ايششئاككوم يمثل الإدارة المركزية الآشورية هناك [٩] .

لقد كان التجار الآشوريون يقيمون في معظم الأحيـان بمـدن مراكـز التجـارة الأناضولية ولمدد طويلة لغرض تصريف بضائعهم وتنظيم شؤونهم ومبادلاتهم التجارية ، فقد أطلق التجار الآشوريون على المؤسسة التي كانت تدير شؤونهم هناك (كاروم) والتي كانت أشبه بغرفة تجارة تدير أعمال ونشاطات التجار وسلامة قوافلهم بين بلاد آشور ومدن بـلاد الأناضول ، كما كانت هذه المؤسسة تعمل على دفع الديون على البـضائع ونظـام ائتمـان لضمان سلامة القوافل وما تحملها [١٠] . ووفقا لمضامين النصوص كان هناك احـد عـشر جالية تجارية آشورية في بلاد الأناضول من نوع (كاروم) وعشرة أنواع مـن (وابـارتوم) كانت تمتد من اشور وحتى سهل قونيا [١١] . وبذلك كانت الاتصالات الآشورية الأناضـولية ذات طبيعة تجارية متنوعة في الكاروم وخاصة في كاروم قانيش الذي ضم حياً مهما خاصاً بسكن التجار الآشوريين [١٢] .

إلى ذلك فان النصوص التجارية تكشف عن طبية المساهمات ومنها بشكل خـاص إقامة الشركات التجارية أو المشاريع التجارية وابرز التجار وأسمائهم وعـوائلهم ممـن ذاع صيتهم في هذا المجال فضلاً عن الأرباح المتحققة من هـذه المـشاريع وتوزيـع أمـوال المساهمين ، كما تتضمن تلك النصوص كيفية نقل البضائع وأنواعها بواسطة قوافل الحميـر من آشور إلى بلاد الأناضول ، وكيفية بيع البضائع المصدرة وتصريفها كالملابس والقصدير أو المستوردة منها وعودة أولئك التجار إلى آشور بعد شراء شحنات من الـذهب والفـضة والنحاس ، فقد كانت هذه المعادن على درجـة مـن الأهميـة فـي الـصناعات المعدنيـة الآشورية[١٣] .

لقد وجدنا من الضروري تقديم هذه التفاصيل عن الرحلات التجارية الآشورية لتوضيح الهدف الأساسي من هذا البحث وهو تبيان أهمية تلك الرحلات في الجانب الحضاري .

إلى ذلك كان لإقامة التجار الآشوريين في مدن بلاد الأناضول لفترات طويلة أهمية في نقل مقومات حضارية إلى هناك [١٤] ، كما أن البعض منهم اختلطوا مع المجتمع المحلي وتزوجوا من البنات الأناضوليات ، فضلاً عن إقامتهم علاقات اجتماعية مع السكان القاطنين فيها [١٥] . وهو ما أدى إلى سعة عمليات التبادل التجاري شملت خلالها نقل عناصر حضارية وصلت حد التشابه وظلت هذه الصلات بين الأفراد والعوائل وتوارثها الأبناء عن الآباء فنقرأ بهذا الخصوص عن تزويج تاجر اسمه (اشيرو) ابنته خاتالا من تاجر آشوري[١٦] .

إن أولى المقومات الحضارية التي انتقلت إلى بلاد الأناضول من التجار الآشوريين كان استخدام الخط المسماري في توثيق التعاملات التجارية ، فقد عثر المنقبون في إقليم كبدوكيا على مجاميع من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري ، وكان القسم الأعظم من تلك المكاتبات كشف عنها في موقع كول تبه (قانش قديماً) شرقي قيسارية وقدر عدد تلك النصوص بنحو أربعة عشر ألف رقيم طيني ، دونت جميعها باللغة الاكدية بلهجتها الآشورية القديمة [١٧] . مما يوضح أن التجار الآشوريين المقيمين في المراكز الأناضولية نقلوا إلى السكان أسلوب استخدام تلك الكتابة في توثيق المعاملات والمراسلات ، وقد استمر اقتباس الخط واستخدامه فيما بعد في المدونات الحثية الذين هاجروا إلى بلاد الأناضول فيما بعد[١٨].

وهكذا أعد الباحثون انتشار الخط المسماري واللغة الاكدية في بلاد الأناضول من أعظم الإسهامات الحضارية التي قدمها الآشوريون هناك ، فقد علموا السكان فيها ((كيف يكتبون الكلمة ويسجلون التاريخ)) ، كما تمخض عن انتشار الخط واللغة عن نتائج مهمة في انتقال الكثير من العادات والتقاليد والمفاهيم ... من خلالها إلى السكان في بلاد الأناضول[١٩] . وضمن هذا الجانب أيضاً تم الكشف في بلاد الأناضول عن بعض النصوص ضمت مواد قانونية مدونة بالخط المسماري واللغة الاكدية (بلهجتها الآشورية القديمة) ،

وعلى الرغم من تلف معظم أجزائها إلا أنها تعد على درجة من الأهمية فهي تمثل من أقـدم القوانين الآشورية المكتشفة [٢٠] ، ويفهم من بعض أجزائها المتبقية فقرات تخـص شـؤون المحاكم ومجالس القضاء التي أنشأها التجار الآشوريون في بـلاد الأناضـول للنظـر فـي الدعاوي التي كان يتقدم بها التجار مع بعضهم البعض أو ضد السكان المحليين [٢١] .

ومن النتاجات الحضارية المهمة التي نقلها التجار الآشوريين خـلال إلـى بـلاد الأناضول بعض التأليف الأدبية الشهيرة التي ذاع صيتها آنذاك ومنها ملحمة كلكـامش [٢٢] كما وجد أجزاؤها مترجمة إلى اللغة الحثية فيما بعد أعمال الكشف التي تمت من النـصوص في بوغازكوي (حاتوشا عاصمة الحثيين قديماً) ، فضلاً عن العثور على نـصوص عـن قصص قصيرة وأساطير أخرى فيها ومنها أسطورة الخليقة [٢٣] .

كذلك يظهر نتاجات ذلك التواصل الحضاري واضحاً في مجال بعـض المفـاهيم والمعتقدات الدينية انتقلت من خلال الرحلات التجارية إلى بلاد الأناضول ومنها في مجـال أسماء الآلهة وطقوس المراسيم والشعائر وأداء التراتيل والرقى ، ومن أسماء الآلهـة التـي انتقلت إلى هناك أسماء الآلهة آنو ، انتو ، انليل ، ننليل ، ايا ، دمكينا ، وإله الشمس الـذي عدوه اله العدل والحق عند العراقيين القدماء [٢٤] .

إلى ذلك فقد تم العثور في مواقع الآثار الأناضولية عن نصوص مع تراجمها الحثية في مجال السحر ونصوص تخص أدب الفأل استمدت من الآشوريين منها في مجال فـؤول الولادة وفؤول ظواهر الطبيعة (شمس ، قمر ، نجوم ...) وأسلوب فحص كبد الحيوانـات التي كانت تقدم كقرابين آنذاك [٢٥] ، فضلاً عن مفاهيم تنبؤية تخص تفسير حركات الطيـور وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة بالسحر اقتبسها سكان الأناضول آنذاك من الآشوريين [٢٦] ، وكان يتم تفسير تلك الفؤول من قبل الكهنة بما ينبئ عن شؤون مستقبل الأيام فـي الـبلاد وحكم الملوك .

كذلك شملت بعض النتاجات الحضارية التي تـأثر بهـا سـكان الأناضـول مـن الآشوريين بعض المناسبات والأعياد ومنها الأرض الذي يشابه مراسيم إقامتـه عيـد رأس السنة (اكيتو) ، فضلاً عن استخدام نظام المواقيت أو التقديم الآشوري [٢٧] .

ومن أكثر المظاهر الحضارية الذي ظهر أثره واضحاً في بلاد الأناضـول جانـب التنظيمات الاقتصادية الذي نقله الآشوريون إلى هناك ومنها الأوزان والمقاييس [٢٨] ، ويمكن التخمين إن أسس التعامل التجاري كانت تستند في البداية إلى مبدأ المقايضة إلا انه وبتطور التعاملات التجارية ونشاطها اقتضت الضرورة إيجاد وسيلة لتسيير أسلوب التعـاملات فـي الصفقات التجارية وتوزيع نسب الأرباح بين التجار المساهمين فكـان أن اسـتخدم سـكان الأناضول الأوزان والمكاييل ذاتها التي استخدمت عند التجار الآشوريين ، كما يتضح ذلـك من العقود المكتشفة ذات العلاقة بالحياة التجارية كالمنا والشيقل وأجزائها ، كما اسـتخدموا معدن الفضة وأجزائه المذكورة بالأوزان كوحدات أساسية لتقيـيم الأثمـان فـي مختلـف التعاملات [٢٩] ، ويمكن الإشارة بهذا الخصوص إلى اثنين من النصوص عن ذلك .

((سوف ترسل لي ملابسها ولأجل ذلك يمكنني أن اعمل (لحفيق) أفـضى ربـح لأجلهـم شيقل فضة)) .

وفي مضمون النص الآخر ورد الآتي :

((أعمل أقصى جهدك لأجلي (وربما سأقدم) شيقل فضة لبيع ملابس شولوبكا)) [٣٠] .

وهكذا كان للرحلات التجارية الآشورية أهميتها في استخدام هذا الأسلوب التجاري في بلاد الأناضول ، إن مديات ذلك التواصل الحضاري شمل أيضاً تحديد تعريفات الأسعار ونسبة الأرباح بموجب نصوص موثقة بأسماء الشهود ، إذ أن سـعة التعـاملات التجاريـة وتطورها فرضت تنظيم هذا الشأن أيضاً ضمن مجموعة الشؤون الاقتصادية المتنوعة التـي بها ونقلها إلى التجار الآشوريين إلى بلاد الأناضول [٣١] . وهكـذا كانـت هـذه المراكـز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول مراكز إشعاع حضاري انتشرت فيها معظم عناصـر الحضارة الآشورية وسادت مدة طويلة ، وقد ذكر باحث بهذا الخصوص : ((أدت العلاقات التجارية مع البلدان والأقاليم دوراً رئيساً في نقل النظم الاقتصادية والمالية بـل إن بعـض البلدان عاشت في ظل الأنظمة العراقية لفترة طويلة كما هي الحال بالنسبة لـبعض أجـزاء آسيا الصغرى ... والمراكز التجارية الآشورية فيها)) [٣٢] .

الخاتمة :

يتضح مما سبق عرضه في هذا البحث أهمية رحلات التجار الآشوريين إلى بـلاد الاناضول على أوجه النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية في بداية الألف الثـاني ق.م . فقد نتج عن عمليات التبادل التجاري لأنواع من المعادن كالذهب والفضة والنحـاس والقصدير والمنسوجات تحقيق الارباح لاولئك التجار ، كما كان لتلـك المبـادلات آثارهـا الواضحة في تحقيق نوع من التكامل الاقتصادي بين بلاد الرافدين وبلاد الاناضول .

كذلك ساهم نشاط تلك الرحلات الآشورية إلى مراكز التجارة الاناضـولية توطيـد الصلات الاجتماعية مع السكان المحليين نتيجة اقامة بعض التجار في تلك المراكز وزواجهم من الاناضوليات .

إلى ذلك افرزت تلك الرحلات نتائج حضارية مهمة بـين بـلاد الرافـدين وبـلاد الاناضول ، اذ انتقلت الكثير من مقومات الحضارة العراقية إلى هناك .

الهوامش :

(١) عامر سليمان : النظم المالية والاقتصادية ـ الأصالة والتأثير في : العراق في موكب الحضارة ـ الأصالة والتأثير ، ج١ ، ١٩٨٨ ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٣) حسن ظاهر حمود : التجارة في العصر البابلي القديم ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٥ ، ص١٩٩ .

(٤) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول) ، د . ت ، بغداد ، ص٢٣٤ .

(5) Venhof , KR : Some Social Effects of old Assyrian Trade , Iraq , Vol. 39 , No. 1 – 2 , 1977 , P. 111 – 112.

(6)Lewy , J : Appropose of Aresent study in old Assyrian chronology , Or. Ns , Vol. 26 , 1957 , P. 23 .

(7) Venhof , op. cit , P. 109 .

(8) Ibid , p.112 .

(٩) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

(١٠) حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص١٨٩ ـ ١٩٠ .

(١١) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

(12) Venhof , op. cit , P. 110 .

(13) Donbaz , Veysel : Four old Assyrian Tablets From the city of Assur , Jcs , Vol. 26 , No. 2 , 1974 , P. 80 .

(١٤) ابتهال عادل إبراهيم الطائي : أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٦ ، ص٤٤ .

(15) Venhof , op. cit , P. 110 – 113 .

كذلك ينظر : ابتهال عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص١٧ .

(١٦) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

(١٧) عامر سليمان : الكتابة المسمارية ، موصل ، ٢٠٠٠ ، ص٢٨ .

(١٨) عامر سليمان : اللغة الاكدية (البابلية الاشورية) ، موصل ، ١٩٩١ ، ص٤٥ .

(١٩) فاضل عبدالواحد علي : الكتابة واللغة والأدب في : العراق في موكب الحضارة والأصالة والتأثير ، ج١ ، ١٩٨٨ ، ص١٩٤ .

(20) Drivor , G. R and John c. Miles : The Assyrian laws , Oxford , 1935 .

ينظر أيضاً : فوزي رشيد : الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٧٧ ـ ١٧٩ .

(٢١) عامر سليمان : النظم المالية ... المصدر السابق ، ص٣٨٤ .

(٢٢) فاضل عبدالواحد علي : المصدر السابق ، ص١٩٨ .

(٢٣) ابتهال عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص٦٨ .

(٢٤) سامي سعيد الأحمد ورضا الهاشمي : المصدر السابق ، ص١٥٧ . ينظر أيضاً : حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص١٩٩ .

(٢٥) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٢٦) ابتهال عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص٦٩ .

(٢٧) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٢٨) حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص١٩٩ .

(29) Larsen , M. T : Old Assyrian Procedure Leiden , 1967 , PP. 98 , P. 100 , P. 111 , P. 108 .

(30) Blacan kemal : Contribution to the Understan – ding of the Idiom of the Old Assyrian Merchants of kanis, Or. Ns, Vol. 36 , 1967 , P. 395.

(٣١) وليد محمود الجادر ، التقنيات الأولى (العجلة وصناعة المعادن) في : العراق في موكب الحضارة ـ الأصالة والتأثير ، ج١، ١٩٨٨ ، ص٩١.

(٣٢) عامر سليمان : النظم المالية ... المصدر السابق ، ص٤١٣ .